

تفسير ابن كثير

وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ^ج فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ

وقوله : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) قال البخاري : حدثنا

الحسن بن عبد العزيز ، حدثنا عبد الله بن يحيى ، حدثنا حيوة بن شريح ، عن بكر بن

عمرو ، عن بكير ، عن نافع ، عن ابن عمر ؛ أن رجلا جاءه فقال : يا أبا عبد الرحمن ،

ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) الآية [الحجرات :

9] ، فما يمنعك ألا تقاتل كما ذكر الله في كتابه ؟ فقال : يا ابن أخي ، أعير بهذه

الآية ولا أقاتل ، أحب إلي من أن أعير بالآية التي يقول الله - عز وجل - : (ومن يقتل

مؤمنا متعمدا) إلى آخر الآية [النساء : 93] ، قال : فإن الله تعالى يقول : (وقاتلوهم

حتى لا تكون فتنة) ؟ قال ابن عمر : قد فعلنا على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - إذ

كان الإسلام قليلا وكان الرجل يفتن في دينه : إما أن يقتلوه ، وإما أن يوثقوه ، حتى

كثر الإسلام فلم تكن فتنة ، فلما رأى أنه لا يوافقه فيما يريد ، قال : فما قولك في علي

وعثمان ؟ قال ابن عمر : ما قولي في علي وعثمان ؟ أما عثمان فكان الله قد عفا عنه ،
وكرهتم أن يعفو عنه ، وأما علي فابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وختنه -
وأشار بيده - وهذه ابنته أو : بنته - حيث ترون . وحدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا زهير ،
حدثنا بيان أن وبرة حدثه قال : حدثني سعيد بن جبير قال : خرج علينا - أو : إلينا - ابن
عمر - رضي الله عنهما - فقال رجل : كيف ترى في قتال الفتنة ؟ فقال : وهل تدري ما
الفتنة ؟ كان محمد - صلى الله عليه وسلم - يقاتل المشركين ، وكان الدخول عليهم
فتنة ، وليس بقتالكم على الملك . هذا كله سياق البخاري ، رحمه الله . وقال عبيد الله ،
عن نافع ، عن ابن عمر ، أنه أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير فقالا إن الناس قد صنعوا ما
ترى ، وأنت ابن عمر بن الخطاب ، وأنت صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
فما يمنعك أن تخرج ؟ قال : يمنعني أن الله حرم علي دم أخي المسلم . قالوا : أولم يقل
الله : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله الله) ؟ قال : قد قاتلنا حتى لم تكن
فتنة ، وكان الدين كله الله ، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة ، ويكون الدين لغير
الله . وكذا رواه حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أيوب بن عبد الله اللخمي قال :

كنت عند عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - فأتاه رجل فقال : إن الله يقول : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله الله) فقال ابن عمر : قاتلت أنا وأصحابي حتى كان الدين كله الله ، وذهب الشرك ولم تكن فتنة ، ولكنك وأصحابك تقاتلون حتى تكون فتنة ، ويكون الدين لغير الله . رواهما ابن مردويه . وقال أبو عوانة ، عن الأعمش ، عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه قال : قال ذو البطين - يعني أسامة بن زيد - لا أقاتل رجلا يقول : لا إله إلا الله أبدا . قال : فقال سعد بن مالك : وأنا والله لا أقاتل رجلا يقول : لا إله إلا الله أبدا . فقال رجل : ألم يقل الله : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله الله) ؟ فقالا قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة ، وكان الدين كله الله . رواه ابن مردويه . وقال الضحاك ، عن ابن عباس : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) يعني : [حتى] لا يكون شرك ، وكذا قال أبو العالية ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة ، والربيع عن أنس ، والسدي ، ومقاتل بن حيان ، وزيد بن أسلم . وقال محمد بن إسحاق : بلغني عن الزهري ، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا : (حتى لا تكون فتنة) حتى لا يفتن مسلم عن دينه . وقوله : (ويكون الدين كله الله) قال الضحاك ، عن ابن عباس في هذه الآية ، قال : يخلص

التوحيد لله .وقال الحسن وقتادة ، وابن جريج : (ويكون الدين كله الله) أن يقال : لا إله إلا الله .وقال محمد بن إسحاق : ويكون التوحيد خالصا لله ، ليس فيه شرك ، ويخلع ما دونه من الأنداد . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : (ويكون الدين كله الله) لا يكون مع دينكم كفر .ويشهد له ما ثبت في الصحيحين عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوها ، عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله ، عز وجل وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري قال : سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء ، أي ذلك في سبيل الله ، عز وجل ؟ فقال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، فهو في سبيل الله ، عز وجل .وقوله : (فإن انتهوا) أي : بقتالكم عما هم فيه من الكفر ، فكفوا عنه وإن لم تعلموا بواطنهم ، (فإن الله بما يعملون بصير) كما قال تعالى : (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم) [التوبة : 5] ، وفي الآية الأخرى : (فأخوانكم في الدين) [التوبة : 11] .وقال : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على

الظالمين) [البقرة : 193] . وفي الصحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال
لأسامة لما علا ذلك الرجل بالسيف فقال : لا إله إلا الله ، فضربه فقتله ، فذكر ذلك
لرسول الله ، فقال لأسامة : أقتلته بعد ما قال : لا إله إلا الله ؟ وكيف تصنع بلا إله إلا
الله يوم القيامة ؟ قال : يا رسول الله ، إنما قالها تعوذا . قال : هلا شققت عن قلبه ؟ ،
وجعل يقول ويكرر عليه : من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة ؟ قال أسامة : حتى تمنيت
أنني لم أكن أسلمت إلا ذلك اليوم .